

أخلاق أهل القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . أيها المستمعون الكرام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد قال الله تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا "

سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق . رضي الله عنها وعن أبيها . عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : (كان خلقه القرآن) .

قال بشر بن الحارث : سمعت عيسى بن يونس (ت ١٨٧ هـ) يقول :

إذا ختم العبدُ قلبَ الملكِ بين عينيه ، فينبغي له أن يجعلَ القرآنَ ربيعاً لقلبه ، يَعْمُرُ ماخِرِبَ من قلبه ، يتأدبُ بآدابِ القرآنِ ، ويتخلَّقُ بأخلاقِ شريفةٍ يتميِّزُ بها عن سائرِ النَّاسِ من لا يقرأ القرآنَ .

فأول ما ينبغي له أن يستعملَ تقوى الله في السرِّ والعلانية : باستعمال الورع في مطعمه ومشربه ومكسبه ، وأن يكونَ بصيراً بزمانه وفساد أهله ، فهو يحذرهم على دينه ؛ مقبلاً على شأنه ، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره ، حافظاً للسانه ، مميّزاً لكلامه ؛ إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صواباً ، وإن سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صواباً ، قليل الخوض فيما لا يعنيه : يخاف من لسانه أشدَّ مما يخاف من عدوه ، يحبس لسانه كحبسه لعدوه ، ليأمن شره وسوء عاقبته ؛ قليل الضحك فيما يضحك منه الناس لسوء عاقبة الضحك ، إن سرَّ بشيءٍ مما يوافق الحقَّ تبسّم ، يكره المزاح خوفاً من اللعب ، فإن مزح قال حقاً ، باسطاً الوجه ، طيب الكلام ، لا يمدح نفسه بما فيه ، فكيف بما ليس فيه ، يحذر من نفسه أن تغلبه على ما تقوى مما يُسخط مولاة ، ولا يغتاب أحداً ولا يحقر أحداً ، ولا يشتم بمصيبة ، ولا يبغي على أحد ، ولا يحسده ، ولا يسيء الظنَّ بأحدٍ إلا بمن يستحق ؛ وأن يكون حافظاً لجميع جوارحه عمّا نُهي عنه ، يجتهد ليسلم الناس من لسانه ويده ، لا يظلم وإن ظلم عفا ، لا يبغي على أحد ، وإن بُغي عليه صبر ، يكظم غيظه ليرضي ربه ، ويغيظ عدوه . وأن يكون متواضعاً في نفسه ، إذا قيل له الحق قبله من صغيرٍ أو كبير ، يطلب الرفعة من الله تعالى لامن المخلوقين .

وينبغي أن لا يتأكل بالقرآن ولا يحب أن تقضى له به الحوائج ، ولا يسعى به إلى أبناء الملوك ، ولا يجالس الأغنياء ليكرموه ، إن وسّع عليه وسّع ، وإن أمسك عليه أمسك . وأن يلزم نفسه برِّ والديه : فيخفض لهما جناحه ، ويخفض لصوتهما صوته ، ويبدل لهما ماله ، ويشكر لهما عند الكبر . وأن يصل الرحم ويكره القطيعة ، من قطعه لم يقطعه ، ومن عصى الله فيه أطاع الله فيه ، من صحبه نفعه ، وأن يكون حسن المجالسة لمن جالس ، إن علم غيره رفق به ، لا يعنف من أخطأ ولا يخجله ، وهو رفيق في أموره ، صبور على تعليم الخير ، يأنس به المتعلم ، ويفرح به المجالس ، مجالسته تفيد خيراً .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : " كُنَّا صَدْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَامَعَهُ إِلَّا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ شَبَهَ ذَلِكَ ؛ وَكَانَ الْقُرْآنُ ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ ، وَرُزِقُوا الْعَمَلَ بِهِ . وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُخَفَّفُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ حَتَّى يَقْرَأَ الصَّبِيُّ وَالْأَعْمَى ، فَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ " .

وعن مجاهد - رضي الله عنه - في قوله تعالى " يتلونه حقّ تلاوته " : " يعملون به حقّ عمله " .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : " ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليته إذا الناسُ نائمون ، وبنهاره إذا الناسُ مُفطرون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبتواضعه إذا الناسُ يختالون ، وبحزنه إذا الناسُ يفرحون ، وببكائه إذا الناسُ يضحكون ، وبصمته إذا الناسُ يخوضون " .

وعن الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - : " حامل القرآن حامل راية الإسلام .. لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلهو مع من يلهو " .

جعلنا الله تعالى ممن يتأدب بأداب القرآن ، ويتخلق بأخلاقه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .